يا شياطين الإنس احذروا ..

د. إبراهيم محمد المغازى
قسم علم النفس - جامعة بور سعيد، عضو المجلس العربى للأخلاق والمواطنة

فسر سيجموند فرويد رائد التحليل النفسي المعاصر. الشخصية الإنسانية في ضوء الصراع النفسي بين الأجهزة النفسية الثلاثة:

الهو (النفس الأمارة بالسوء): قال تعالي (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، والأنا (النفس اللوامة) ، ثم الأنا الأعلي «المثل والخلق العليا» النفس المطمئنة قال تعالي «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً»، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، فإذا انضمت النفس المطمئنة «الأنا الأعلى» مع الهو ضد الأنا في عملية الصراع النفسي داخل الشخصية الإنسانية أصبحت هذه الشخصية غير سوية «مرضية- مصابه باضطراب نفسي معين» قلق- هستريا- اكتئاب- هوس- وسواس قهري- فصام...إلخ. لأن الهو أصبحت في مركز أقوى من المحكمة النفسية «الأنا» بسبب مساندة الأنا الأعلي «القيم والمثل العليا» لها وبقوه وأصبح الليبيدو «الطاقة النفسية، البنك النفسي» بنزين الشخصية ووقودها في خدمتهما وموجه لهما .

هذه الأنا الأعلي أعطت الهو «النفس الأمارة بالسوء» بروازا جميلا أمام الناس أو الضوء الأخضر لكي يفعل ما يشاء من جرائم وأفعال مشينة تحت بند القيم والأخلاق والقانون. بمعني أن الشخصية الأنانية أصبحت أمام الناس ذا أخلاق وسمعة طيبة ورجلا أو امرأه شريفة وبروازا جميلا، ولكن داخل هذا البرواز شيطان أو عفريت أو شيطانة أو عفريتة لديهما مبررات وإقناعات قد يصدقها الناس إذا تعاملوا معهم ولكنهم هم في الحقيقة يريد تحقيق أهدافهم الدنيئة وغير الشريفة أو يريدون تحقيق أهداف أخرى لا يعلمها إلا الله عز وجل أو يريدون حماية أنفسهم لأنهم يشعرون بالخوف الشديد وأن الله عز وجل سوف ينتقم منهم إن عاجلاً أو آجلاً . فيتجملون أمام الناس بهذا البرواز الجميل حتي يقنعوا الناس بما يرتكبونه من جرائم نهم هم أصحاب خير وأصحاب منفعة لهم وأصحاب فضل عليهم.

فالمحكمة النفسية «ضميرهم» يحاكمهم محاكمة قد تكون أصعب من المحكمة القانونية أو الاجتماعية «نظرات الناس لهم» لا أقسم بالنفس اللوامة فهي معذبتهم وأصدرت حكماً عليهم قد يكون أصعب من حكم الإعدام لأنها قد تدفعهم إلي اليأس والانتحار «وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ» سورة التوبة .

هذه الشخصيات السئية «شياطين المجتمع أو الدنيا من الإنس» يتحكم في أفعالهم المشينة ثلاثة متغيرات نفسية لا شعورية هي «الكتب- الأفكار- الإسقاط أو الطرح»، فالبنك النفسي في شخصيتهم السئية ملئ بالكبت الشديد لمواقف حياتية واجتماعية أليمة وعقد نفسية «ما فيه سيئ» ثم الأفكار أي ينكرون هذه السمات الشخصية السيئة أي يعطون لها البرواز الجميل « غلاف شخصي جيد تحت بند الخير والقيم والأخلاق والقانون يتزين لهم بها أمام الناس حتي يحصلوا علي صفه القبول النفسي والاجتماعي ثم يسقطون صفاتهم السيئة علي الآخرين في المجتمع أثناء عملية التفاعل الاجتماعي لأنهم يعتبرون أنفسهم ملائكه والناس شياطين، هل هذا مقبول.

أشكال الفساد:

فهم يطرحون بعض الصفات السيئة وأشكال الفساد «مثل- المرتشي- الحرامي – المغتصب- المخبون- النمام- آكل مال اليتيم- المعتدي- العنيف- الإرهابي- البخيل- السفاح- الزاني- القاتل- المجرم- المنافق الكذاب- الفتان- الحكار المحتكر- الشباب العاقة لوالديه..إلخ علي الناس. ولكن في الحقيقة هذه الصفات هي صفاتهم . الحقيقية التي تعذبهم بها المحكمة النفسية «النفس اللوامة»

بل أصبحت السعاده لديهم سعاده مرضية وسلبية تتم في تكرارهم لارتكابهم هذه الأفعال المشينة والسلوكيات الإجرامية التي تؤذي الناس. ولكن الله تعالي بالمرصاد «إن ربك لبالمرصاد» فإن لم تستطع المحكمة النفسية أن تغيّر من صفاتهم وتنقل من هذه الحالة السيئة الشيطانية إلي الحالة الإيجابية أي من الفساد إلي الصلاح، وإذ لم تستطع المحكمة القانونية أن تردعهم وتعاقبهم فإن المحكمة الإلهية قد تصدر حكماً عادلاً بأن تفضحهم أو تهلكهم بالمرض أو تعاقبهم بنفس الصفات التي كانوا يتزينون بها أمام الناس وتعذبهم بها في الدنيا قبل الآخرة، أو ترسل عليهم عذاباً من السماء إما بالغرق- أو الحرص- أو النسف- أو الخسف- ألم يتذكر- هؤلاء الشياطين ماذا فعل الله تعالي بالأمم الفاسدة السابقة «فرعون وقومه وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وقوم يونس وصالح والحواريين وقريش...إلخ» هل نسى هؤلاء الشياطين هذا العقاب الرباني قبل العقاب النفسي المحكمة النفسية «الأنا» ماذا ينتظر هؤلاء.. ينتظرون هذا العقاب ولكن وجود الرحمة الإلهية- سيدنا محمد- قد تؤجل هذا العقاب حتي يعودوا إلي رشدهم أو قد يكون سبباً في تخفيف هذا العقاب في الآخرة فاعتبروا يا أولي الأبصار ويا أولي الألباب، فارحموا خلق الله تعالي الضعفاء يا أيها الشياطين قبل أن تنالوا العقاب الإلهي وعندئذ لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فالدنيا ثلاث- أي هرم ومثلث له ثلاثة أضلاع، قاعدته الأمل- الألم وقمته الأجر. فعيشوا أيها الضعفاء بالأمل وتحمّلوا الألم في الدنيا من أجل الأجر العظيم في الآخرة وعندئذ يحسدكم هؤلاء المعذبون لكم في الدنيا من هذا الأجر العظيم في الأخرة والمنزلة الجميلة التي أعدها الله تعالي لكم وصدق الله العظيم إذيقول:)*الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ («قريش : ٣-٤»، فيا أيها المفسدون أعيدوا ترتيب أنفسكم أخلاقيا وقيميا ووطنيا من أجل مصرنا الغالية حتي تفلحوا .